البعد الجغرافي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي

صراع الهويات الجغرافية

The geographical dimension of the Palestinian-Israeli conflict:

a conflict of geographical identities

الدكتور: سليم زاوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص:

الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو في جوهره صراع جغرافي وإقليمي، حيث تُشكّل السيطرة على المكان – تمثيله، وتفتيته، وتقديسه – الأداة الرئيسية لاستراتيجيات الهيمنة الإسرائيلية والمقاومة الفلسطينية. الجغرافيا، بعيدًا عن كونها محايدة، هي أحد العوامل الرئيسية المحددة لاستمرار هذا الصراع وعمقه.

الكلمات المفتاحية: الصراع، فلسطين، الصهيونية، إسرائيل، أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، الجغرافيا المخيلة، إسرائيل من النيل إلى الفرات.

SUMMARY :

The Israeli-Palestinian conflict is fundamentally a geographical and territorial conflict, where the control of space—its representation, its fragmentation, its sacralization—constitutes the primary tool of Israeli strategies of domination and Palestinian resistance. Geography, far from being neutral, is one of the major determinants of the persistence and depth of this conflict.

Keywords: conflict, Palestine, Zionism, Israel, a land without a people for a people without a land, imagined geography, Israel from the Nile to the Euphrates.

1. الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من منظور جغرافي:

إنّ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في فلسطين هو أحد أكثر الصراعات تعقيدًا في العالم، بحيث تتداخل فيه مجموعة من العوامل التاريخية، الدينية، والجغرافية، والسياسية. وجوهره هو السيطرة على **الأرض**، والذي يتمّ التعبير عنها في كلّ الخطابات الرسمية، أو الاتفاقات أو المبادرات بكلمة "**الأرض**" إنها الكلمة التي تكررت كثيرًا في المقاربات تحت مبدأ "**الأرض مقابل السلام** " وكيف تستخدم إسرائيل هذا المبدأ لترسيخ هيمنتها ومحو الوجود الفلسطيني على الأرض.[1]

[1]: مايكل، يونغ نشرت في 15 نوفمبر 2023 تقدّم مدوّنة "ديوان" الصادرة عن مركز مالكوم كير–كارنيغي للشرق الأوسط وبرنامج الشرق الأوسط في مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي تحليلات معمّقة حول منطقة الشرق الأوسط، تسندها إلى تجارب كوكبةٍ من خبراء في بيروت وواشنطن.

لقد بدأ هذا الصراع على احتلال الأرض تحت غطاء **المكان المقدس**، الذي يعدّ عاملاً محوريًا فيه، ونقطة مركزية في الحروب والمفاوضات المتعددة، وبالتالي تعدى الصراع من احتلال الأرض وتوسيع الحدود، ليشمل الطابع الرمزي والديني للأراضي والمقدسات.[2]

فالقدس هي مركز الصراع الديني باعتبارها واحدة من أبرز الرموز الدينية في العالم، وأقدم مدينة في التاريخ. إنها مدينة تتميز بتراثها الديني والثقافي الغني والمتعدد، يجمع بين الرسالات السماوية الثلاث.

فالقدس تعتبر أقدس المواقع لدى اليهود، وموضع، وفكرة العودة إلى " **أرض الميعاد**" في القدس كان من أبرز المحركات الدينية للحركة **الصهيونية**، حيث اعتبرت العودة إلى القدس جزءًا من تحقيق النبوءات التوراتية. ويتم التبرير لاختيار فلسطين دون سواها إلا تلبية لما جاء في التوراة من أقوال تؤكد على أن فلسطين هي أرض الميعاد المقدسة التي أراد الله أن يجمع فيها اليهود بعد أن قد وهبها لهم في الزمن القديم،[3] وأنّ اليهود هم الشعب المقدس، ومن ثم فالشعب المقدس لا بد أن يعود للأرض المقدسة.[4] حيث جاء في سفر التكوين الإصحاح 12: 1-5: وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ .وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ."

وفي سفر التكوين 12: 14-15: وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْه: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ."

وقال أيضا في 18:15-21 :حدود أرض الميعاد هو توضيح لأراضي الشعوب القديمة المختلفة، على النحو التالي: "وفي ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام عهدا، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات: أرض القينيين، القنزيين، القدمونيين والحثيين والفرزيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين".[5]

وعلى هذا الأساس قامت أطماع إسرائيل على **تأويلات دينية، وكذبة جغرافية** وهي "**أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض**"، والتي لا تعدو أن تكون مسألة افتراضية أو من قبيل التبرير؟ يراد منها الاستيلاء على الأرض، باعتبارها حقًا دينيًا وتاريخيًا[6].

---

[2]: كولن، فلنت، جغرافية الحرب والسلام، ترجمة عاطف معتمد وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، الجزء الأول، 2017.

[3]: أبكار، السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص 23، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

[4]: عبد الوهاب، المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص 08، م 6، دار الشروق، ط 1، 1999.

[5]: الكتاب المقدس، طبعة ريجارد واطسن، لندن 1831، على النسخة المطبوعة في روسيا سنة 1671.

[6]: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض هو شعار للرؤية التوراتية القائلة بأنّ فلسطين هي أرض الميعاد والأرض المقدسة. وأنّ اليهود هم الشعب المقدس. ومن ثم لابد أن يعود للأرض المقدسة فهو صاحبها. وإن وجد هذا الشعب يمكن إبادته أو طرده عن وطنه. استهدفت الإيديولوجية الصهيونية منذ البداية تحويل الشخصية اليهودية من جماعات متفرقة إلى أمة مثل باقي الأمم. أنظر: الأيديولوجية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، مجلة المعرفة، ص 123، سلسلة ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 60، ديسمبر 1982.

فالصراع منذ بدايته استهدف الاستيلاء على الأرض بعناصرها الطبيعية والجيواستراتيجية، والسكان. وكان ومايزال الهدف الأساس للحركة الصهيونية. ويتلخص في شعارها **الإستيلاء** على مساحة أكبر من أرض فلسطين واحتلالها بأكبر عدد من المستوطنين اليهود. **أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض.** **والمؤشر** على نجاح المشروع الاحلالي الصهيوني في فلسطين يتلخص في الأراضي التي استولوا عليها، وعدد اليهود المهاجرين وتوطينهم في أرض فلسطين، وعلى هذان العملان الجغرافيان الأرض والسكان اعتمدت الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين.

فخريطة فلسطين تقلصت مع مرور السنوات، بحيث استولى الكيان الصهيوني منذ عام 1948 إلى 2020 على مساحة 20770 كم^2 من أصل 26790 كم^2، أي بنسبة 77.53 %، ولم يبق منها سوى 5،655 كم^2 في الضفة الغربية، أي ما نسبته 21.53 %، ثم استولت عليها ولم يبق منها سوى 07 %، والباقي في قطاع غزة بـ 365 كم^2 ما نسبته 01.36 %. وتقلص عدد الفلسطينيين في الداخل نحو 5.610 مليون، ونحو 1.800 مليون داخل أراضي عام 1948، ونحو 7.400 مليون في الشتات، منهم 6.300 مليون في الدول العربية. أما اليهود في فلسطين فوصل إلى 7448481 يهوديا. أنظر خريطة: 01.

الخريطة 01: مراحل تطور مساحة إسرائيل وعدد اليهود في فلسطين

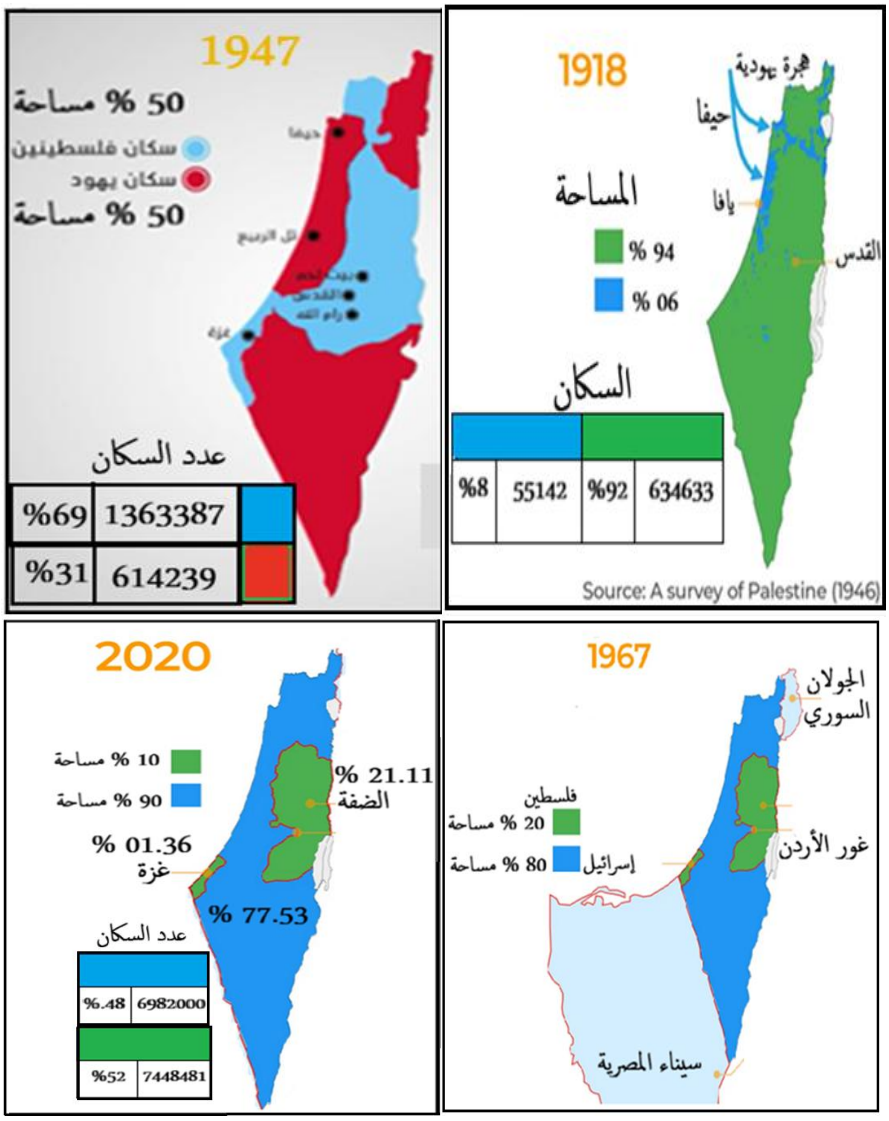

أما فيما يخص الدين:

فمبدأ استرجاع فلسطين باعتبارها كانت مملكة إسرائيل" وهو اسم جاء ذكرها في التوراة كمملكة لجميع أسباط بنى إسرائيل الاثني عشر، سماها باحثو التوراة **بمملكة إسرائيل الموحدة** الذي حكمها كل من داود وسليمان، منذ سنة 1050 قبل الميلاد إلى سنة 930 قبل الميلاد. وكانت المملكة حسب النصوص التوراتية تمثل الجزء الجنوبي الغربي لبلاد الشام، أي منطقة فلسطين، غير أن اليهود المعاصرين يظنون أنفسهم أبناء مملكة يهوذا الجنوبية التي انفصلت عن مملكة إسرائيل الموحدة، ويرى معظمهم الأحداث التي جرت على هذه المملكة المفترضة كجزء من تاريخ أتباع الديانة اليهودية ودولة إسرائيل الحالية هو أحد أسباب اختيار اسم "إسرائيل" للدولة اليهودية عند تأسيسها عام 1948.

وأكدت التفسيرات المعاصرة إن فكرة توحيد مملكتي إسرائيل ويهوذا لا يعدو كونه اختراع يهودي بدوافع أيديولوجية، وأن وصف المملكة الموحدة في الكتاب المقدس مبالغ فيه لصالح الدعاية الدينية والسياسية. ومن هنا استمد الفكر الصهيوني عقيدته التي تنظر لفلسطين كأرض يهودية مقدسة، بذلك بدايات الصراع الجغرافي والديموغرافي في فلسطين.

فالدين من المنظور الجغرافي يستمد الدين أهمية من كونه موجود ومنتشر في كافة بقاع الأرض ولا تخلو بقعة جغرافية منه، وأن العديد من الظواهر الدينية مرتبطة بالمكان كالحج، ولأن كثيرا من الصراعات الجيوسياسية المعاصرة ترتبط بالدين بشكل أو بآخر. وعلى هذا نشأ ضمن علم الجغرافيا فرع يسمى (جغرافيا الأديان) وهو يهتم بالطريقة التي يتم بها التعبير عن الدين على الأرض وتأثيراته الاجتماعية والثقافية، ويعني بوجه خاص بوضع خرائط انتشار الأديان وتوزيعاتها العالمية، كما يبحث عن تأثيرات الدين في القضايا الديموغرافية وفي الجغرافيا السياسية.

التاريخ:

يقال إن احتلال التاريخ أخطر من احتلال الأرض: فلسطين دولة يهودية منذ أكثر من 3000 سنة: "الله أعطانا هذه الأرض، لأنها ذُكرت في النصوص المقدسة التوراتية." فالصهيونية اعتمدت على تزييف تاريخ الأرض، القديم والحديث والمعاصر، وبالتالي لا ينظر الإسرائيليون إلى أرض فلسطين باعتبارها أرضا محتلة أو مغتصبة، بالنسبة إليهم هي "هبة إلهية" وحق مكتسب يجعل منهم أصحاب الأرض الأصليين، ولهذا يؤرخ الصهاينة لأرض فلسطين على أساسٍ ديني توراتي لا علاقة له بعلمِ الآثار الأكاديمي. وبالتالي طوال هذه العقود السياسيون الإسرائيليون ينفون "صفة الاحتلال" عن أنفسهم؛ مبررين ذلك بأنه استرجاع أو استرداد، ومن هذا المنطلق يفسرون التاريخ من وجهة نظرٍ دينية بحتة لا علاقة لها بالعلم أو بتاريخ الشعوب التي سكنت هذه الأرض.

الخلاصة:

من هذا المنظور نجد الربط بين الدين والجغرافيا والتاريخ في المشروع الصهيوني الاحلالي في فلسطين. أي **تأويلات دينية، وكذبة جغرافية** هي "**أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض**"، والتي لا تعدو أن تكون مسألة افتراضية أو من قبيل التبرير؟ يراد منها الاستيلاء على الأرض، باعتبارها حقًا دينيًا وتاريخيًا.

وشعار "**إسرائيل** من **النيل** إلى **الفرات**" يُقدّم الكثير من الدلائل على الإستراتيجية الجغرافية الصهيونية، وهو يعد نوع من "**الجغرافيا المتخيلة** التي تلبس لبوسًا عقديًا، في تبرير احتلال المكان أو الأرض يتوهم أصحابها أن ما نسبه البشر للرب قابلٌ للاستعادة إلى الوجود. ولكن العودة إلى أرض الميعاد فلسطين حيث يقام الكيان فهو مدى جغرافي سياسي مفتوح يغطي فلسطين التاريخية، لا بد له حماية وعمقا جيواستراتيجيا يضمن السيطرة على كامل المجال الحيوي العربي، يربط بين أربع نقاط ارتكاز هي: بلاد الرافدين شرقا، نهر النيل غربا، وبلاد الشام والبحر المتوسط شمالا، شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر جنوبا. ولا يحدث ذلك إلا بالسيطرة على مساحات أكبر من أرض فلسطين، وإحداث تغيير جذري في ميزان السكان يستوجب تهجير أكبر لسكان فلسطين، وجلب مجموعات سكانية يهودية أكبر.

وكذلك شعار "**إسرائيل** من **النيل** إلى **الفرات**" يُقدّم الكثير من الدلائل على الإستراتيجية الجغرافية الإسرائيلية، وهو يعد نوع من "**الجغرافيا المتخيلة**"[7] التي تلبس لبوسًا عقديًا، في تبرير احتلال المكان أو الأرض عبر مزاعم تحملها تأويلات دينية يتوهم أصحابها أن ما نسبه البشر للرب قابلٌ للاستعادة إلى الوجود.

وفي المقابل العقيدة الفلسطينية تعتبر القدس وفقًا **للإسلام** مركزًا رمزيًا أساسيًا في الهوية الدينية والسياسية للفلسطينيين والمسلمين. وأطروحة المقاومة الفلسطينية قائمة على **استعادة** "**فلسطين التاريخية**"، تحت شعار "**التحرير من النهر إلى البحر**"، وهي مكان موجود بالفعل في الواقع، رغم تغييره وطمسه وتهويد طبونيمته، لكنه حين يحضر في السجال الفلسطيني يحضر كمسألة متخيلة، أي تخيل المستقبل بكل إمكاناته وشروطه التي تحقق ما يصبو إليه هؤلاء. وبالتالي فالمسألة لا تعدو سوى صراعات بين الهويات الجغرافية المتناقضة ؟

وحتى الحديث عن "**حل الدولتين**" لا يخلو من جغرافيا متخيلة، قد تنزلق أحيانًا من هذا "المتخيل" إلى "الموهوم"، فأين هي الجغرافيا التي بوسعها استيعاب الحديث عن "دولة فلسطينية" إلى جانب دولة إسرائيلية ؟ هل ستكون إقليمين منفصلين؛ أي الضفة الغربية وقطاع غزة، أم يتصلان ببعضهما البعض عبر نفق طويل؟ أم عبر شريط حدودي يتوجه من الضفة غربًا في صحراء النقب إلى الحدود المصرية، ثم ينعطف شمالًا بمحاذاتها حتى يصل القطاع، قاطعًا ما يربو على مائتين وخمسين كيلومترًا ؟

ويمكن لنا تحليل هذا الصراع من عدة أبعاد جغرافية مثل: الاستيطان والسيطرة على الأراضي، توسيع الحدود الداخلية والخارجية، إعادة توزيع السكان، وبالتالي تلعب الجغرافيا دوراً مهماً في فهم جوهر الصراع من حيث الأسباب والتداعيات المستمرة. وإليك بعض النقاط الرئيسية حول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي من المنظور الجغرافي:

---

[8]. إنّ الخيال ملكة عقلية للإنسان لم تخل منها معرفة، ولا فنّ، حتى أنّه أنشأ جغرافية متخيّلة تضاف إلى الجغرافيا، ورسم لها خرائط، لكن تلك الأمكنة المتخيلة لم تكن مقصودة لذاتها، فأي معطى معرفي واقعي جديد سيقصيها من حيز المعرفة والتداول. أنظر: محمد، حسن عبد السلام، اليوتوبيا دراسة في الجغرافيا التخيلية، يوليو 2023.

2. عناصر الصراع الجغرافي الفلسطيني–الإسرائيلي:

لم تكن الجغرافيا مجرد خلفية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بل كانت جزءًا أساسيًا من الديناميكيات التي شكلت هذا الصراع. فالموقع الاستراتيجي، والتنوع الجغرافي، والسيطرة على الموارد، وكذلك الحدود السياسية التي فرضها الاستعمار وعمليات الاستيطان، جميعها عوامل ساهمت في تعميق التوترات وخلق صراع طويل الأمد لا يزال مستمرًا حتى اليوم.

فمكانة **أرض فلسطين** في اختيار اليهود لتأسيس دولتهم كانت ذات أبعاد دينية وتاريخية وقومية، وقد تأثرت بالعديد من العوامل التي جعلت من فلسطين وجهة رئيسية لحركة الاستيطان الصهيوني منذ القرن التاسع عشر. هذه العوامل تشمل زعم الانتماء الديني اليهودي إلى الأرض، والبعد القومي الصهيوني، والظروف السياسية في أوروبا والعالم آنذاك.

– الموقع الجغرافي الاستراتيجي لفلسطين:

تقع فلسطين على مفترق طرق بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، ما جعلها ذات أهمية استراتيجية، ونقطة تقاطع حضارات وتجارات عبر العصور. والتحكم والسيطرة في هذه الأرض يعني القدرة على التحكم في الطرق التجارية والموارد الطبيعية، وهو ما جعلها محط أطماع مختلف القوى الاستعمارية والإمبراطوريات الكبرى على مر العصور ونقطة جذب للقوى الكبرى في التاريخ.

– التنوع الجغرافي:

تتميز فلسطين بتنوع جغرافي واسع يشمل السواحل البحرية، والهضاب، والسهول، والجبال. كان له تأثير على توزيع السكان والموارد.

– الاستيطان الإسرائيلي والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية:

بدأ الاستيطان اليهودي في فلسطين بشكل تدريجي، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبموجب مشاريع استيطانية. في البداية، كانت هناك تجمعات صغيرة مكونة من مهاجرين يهود، ولكن مع مرور الوقت، ومع الدعم البريطاني والاستعمار الأوروبي، بدأت تتوسع وتتحول إلى مستوطنات وبؤر استيطانية أكبر، لا سيما في المناطق التي تمتاز بالموارد الطبيعية الاستراتيجية في السهل الساحلي والجليل. والمرتفعات خاصة في الضفة الغربية التي تمنح ميزة عسكرية ودفاعية لإسرائيل.

- **المياه:** التي تشكل مصدرًا رئيسيًا للاحتجاجات والمواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وهي تمثل مسألة استراتيجية لإسرائيل.
- **الأراضي الزراعية:** خاصة في السهول الساحلية وفي الضفة الغربية، فكانت تمثل مصدرًا رئيسيًا للرزق والسكن للفلسطينيين، وأدت عملية الاستيطان الإسرائيلي إلى السيطرة على الأراضي الزراعية الفلسطينية.

– **الحدود والتقسيمات الجغرافية:** تم تقسيم فلسطين إلى مناطق إدارية وعسكرية خلال الانتداب البريطاني (1917-1948) وهو ما ساهم في تقسيم السكان على أسس دينية وقومية، فكانت المدن الكبرى (مثل القدس) مراكز للخلافات والتوترات.

فالخط الأخضر بعد نكبة 1948، وهو يمثل حدود الهدنة بين إسرائيل والدول العربية المجاورة. وعلى أساسه تمّ وضع حدود الفصل بين الأراضي المحتلة وغير المحتلة.

3.الاستراتيجية الجغرافية الإسرائيلية في احتلال فلسطين:

الحقيقةَ، لقد قامت أطماع إسرائيل في فلسطين على توظيف الجغرافيا والدين في التعبئة والحشد للسيطرة واستيطان أرض فلسطين.

لقد انطوت عملية تأسيس إسرائيل على دور أساسي أدّاه خبراء الجغرافيا والتخطيط والخرائط الذين سعوا إلى رسم خريطة إسرائيل وترسيخ هيمنتها ومحو الوجود الفلسطيني. وهو مشروع استيطاني احلالي عنيف ؟

أولا: البداية بتشكيل جغرافية الكيان الصهيوني:

بدأ الاستيطان اليهودي في فلسطين عام 1859 في الفترة العثمانية حيث تحصلوا على الموافقة بشراء عدة قطع من الأراضي بالقرب من القدس، ويافا. وبناء أول حي لليهود خارج أسوار القدس، وبعد ذلك تمّ بناء سبعة أحياء أخرى حتى سنة 1892. وإلى غاية 1917 بنيت 47 مستوطنة تضم أكثر من 85 ألف يهودي، قفزت إلى نحو 169 مستوطنة عام 1949. ولكن لم يتعد وجودهم نسبة 06% من مساحة فلسطين.

المطقة الأولى: السهل الساحلي لقد كان تركيز المستوطنات على الساحل الفلسطيني بشكل أساسي، ثم بنسبة أقل في مرج بن عامر والجليل الأعلى والأدنى والنقب، وهي المنطقة التي شكلت حدود دولة إسرائيل إلى غاية 1947.

بعد نهاية الحرب العربية الإسرائيلية عام 1948، اتسع النطاق الجغرافي للاستيطان المستمر والمتصل على أساس تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين عام 1947 التي أعطت لليهود 55% من أرض فلسطين وفق للقرار 181 وبعد النكبة عام 1948 وقيام دولة إسرائيل استغلها الكيان كأداةً للاستيلاء على الأراضي وطرد أصحابها، ثم بناء المستوطنات، وبذلك فرضت إسرائيل سياسة الأمر الواقع.

فالسهل الساحلي أول وأهم منطقة استوطنت فيها اليهود في فلسطين بعد ذلك امتدت على طول ساحل البحر المتوسط، من مدينة حيفا، مروراً بمنحدرات جبل الكرمل، وصولاً إلى أطراف قطاع غزة، وبتوغل قليل نحو تلال الخليل بجوار القدس.

حاليا يستضيف السهل الساحلي تل أبيب الحضرية التي تعدّ مركز الحياة السياسية والمالية والصناعية والثقافية لإسرائيل، ويعيش فيها أكثر من 40% من إجمالي سكان إسرائيل، وأكبر مدن البلاد، وأهم مطاراتها الدولية وموانئها البحرية وبنيتها التحتية الحيوية ومؤسساتها السياسية، لهذا يُعد السهل الساحلي **بمثابة قلب إسرائيل النابض**. لكن المشكلة تكمن في افتقارها إلى العمق الاستراتيجي حيث يصل عرض السهل الساحلي إلى 14 كلم فقط في أضيق حدوده، بدايةً من الضفة الغربية ووصولاً إلى ساحل المتوسط. أنظر خريطة: 02.

خريطة 02: المناطق الجغرافية التي استوطنت فيها إسرائيل في فلسطين

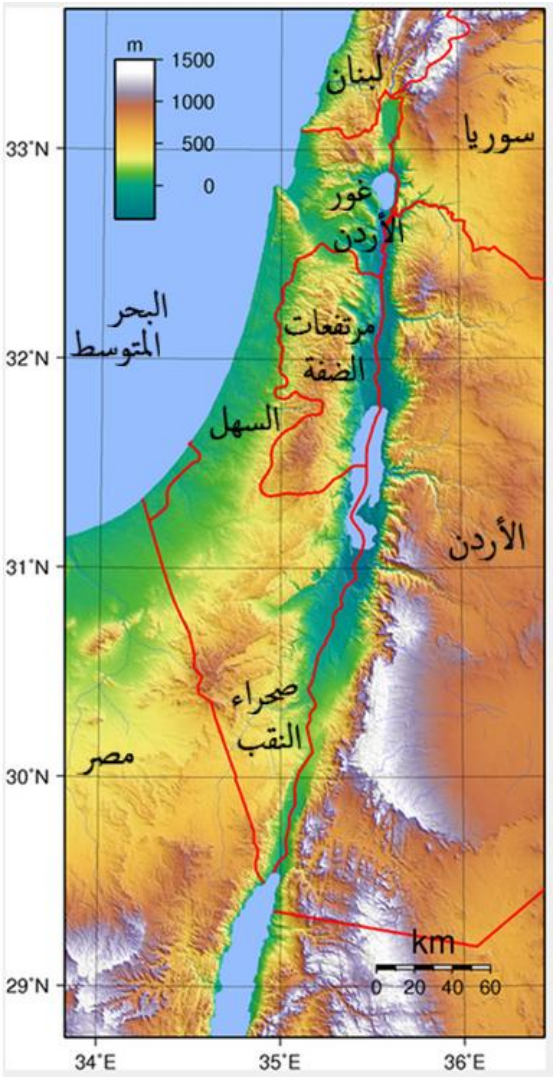

المنطقة الثانية الجليل في الشمال: تُعتبر ثاني أكثر مناطق إسرائيل في فلسطين تميزاً. وتُعرف بتضاريسها الجبلية وتلالها، ونهر الأردن وبحيرة طبريا. وتتمتع المنطقة بأحواض مياه واسعة، ومرتفعات من هضبة الجولان السورية نحو غور الأردن. تحوّلت هذه المنطقة إلى مركز زراعي وصناعي ضخم ومتقدم. ويُوفر الأمن الغذائي الذي تحتاجه يمثل الجليل قيمةً استراتيجية واقتصادية وأمنية هائلة لإسرائيل. وتُعد السيطرة على هذه المرتفعات الاستراتيجية مسألة تكتيكية وحيوية لخلفيتها الشرقية.

منطقة صحراء النقب: تقع المنطقة الثالثة في جهة نائية من الجنوب وهي صحراء النقب الشاسعة والقاحلة وقليلة السكان. تحتوي النقب على موقعين بارزين فقط هما إيلات وغزة، كلاهما يقع على أطراف المنطقة. تستقر مدينة إيلات الساحلية عند الطرف الجنوبي وتمثل نقطة الوصول الإسرائيلية الوحيدة إلى البحر الأحمر والأسواق العالمية بالتبعية. يمنح الاقتصاد الإسرائيلي القدرة على تجاوز أي حصار بحري محتمل في المتوسط.

أما قطاع غزة عند الطرف الغربي من النقب، ملاصقاً لشبه جزيرة سيناء، مباشرةً. وهي تشكل مناطق تهديد دائمة يصعب السيطرة عليها. لهذا أصبحت مأوى للمقاومة، وإن مخاوف الإسرائيليين لا تقتصر على مصر في استخدام سيناء كملاذٍ آمن، بل كذلك في المناطق الجنوبية الشرقية مع الأردن.

الضفة الغربية وقطاع غزة:

لم يصل التوسع الاستيطاني إلى الضفة الغربية وقطاع إلا بعد حرب عام 1967، والتي نجم عنها احتلال كامل بما فيها القدس الشرقية، ومن ثم بدأ تعديل المنظومات القانونية، وشرع في مصادرة الأراضي الفلسطينية العامة والخاصة بذرائع مناطق عسكرية، لتكون مدخلا للتوسع الاستيطاني وتُهجّير منها السكان. فكانت المساحة المحتلة في الضفة قبل عام 1967 تقارب نحو 9% من إجمالي مساحة الضفة، م ارتفعت إلى 12% من المساحة مع نهاية عام 1973. وبحسب معطيات "منظمة بتسيلم" لعام 2017، بلغت مساحة الأراضي الواقعة تحت سيطرة المستوطنات مباشرة، نحو 42% من مجمل مساحة الضفة الغربية وتشكّل 63% من مساحة مناطق "ج."[8]

ثانيا: ترسيخ هيمنتها ومحو الوجود الجغرافي الفلسطيني:[9]

لقد انطوت عملية تأسيس إسرائيل على دور أساسي أدّاه خبراء الجغرافيا والتخطيط والخرائط الذين سعوا إلى رسم خريطة الوطن التي حوّلت مطلب الأرض الرمزي إلى ملكية مادّية. هذه الممارسات هدفها محو الوجود الفلسطيني، بدءًا من النكبة والطرد القسري للفلسطينيين من أراضيهم في العام 1948ووصولًا إلى الاقتلاع المستمر للمجتمعات المحلية الفلسطينية من القدس والضفة الغربية نتيجة مشروع الاستيطان الاستعماري العنيف.

اعتمدت على تصميم وتخطيط المشهد الجغرافي، يعزز الشعور بامتلاك السلطة السيادية على المشهد المكاني، من دون أي حضور فلسطيني يتحدّى مجالهم البصري.. أما بالنسبة إلى الفلسطينيين، فهذه الطبيعة المادّية الخاصة بالاحتلال تهدف إلى نزع الطابع الفلسطيني عن المشهد الجغرافي لأرض فلسطين، وتغريبهم عن أرضهم وإيقاف مطالبتهم بالمشهد المكاني وتقويضها.

وغالبًا ما يتم بناء المستوطنات على أرض مرتفعة فتعلم أن ثمة قرية فلسطينية واقعة في أسفل الوادي، لكن لن يسعك أبدًا رؤيتها. والسبب في ذلك هو أن طريقة تصميم المستوطنات وتخطيطها لا تتيح لك رؤية المستوطنات الأخرى إلا من أعلى التلة، والحواجز والجدران والمباني المشيَّدة كانت تحجب الرؤية أو أن الطريق كان يُظهر ببساطة اتجاهًا مختلفًا. هذه التصاميم والسياسات سمات مشتركة في معظم المستوطنات الإسرائيلية.

سيطرة إسرائيل على الطرق والمعابر، التي تربط بين المناطق الفلسطينية وبين الضفة الفلسطينية وقطاع غزة والدول العربية وغيرها من الدول. وهذه السيطرة تؤدي، بدورها، إلى ضبط ومراقبة انتقال البضائع والتسويق وحتى إقامة المؤسسات وإمدادها بالحاجات التي تساهم في انطلاقها وتنميتها. وهذا يعني أن السيطرة تؤدي إلى استمرار اعتماد الاقتصاد والتنمية الفلسطينيين على إسرائيل وتبعيتهما.

---

[8]: بتسيلم، المركز الإسرائيلي للمعلومات عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، الجدار الفاصل في الضفة الغربية، 2017.

[9]: تعبّر المشاهد الجغرافية هي بمثابة معرض يُظهر للعيان التفاعلات الاجتماعية السياسية الخاصة بمكانٍ ما، سواء كان ذلك من خلال تصميم أو مخطّط البيئة العمرانية أو عبر طريقة تأطير المناظر الطبيعية أو تنظيمها. وينطبق هذا الأمر أيضًا في حالة فلسطين وإسرائيل بحيث يعبر عن علاقات القوة بينهما، ولا سيما في مدن وبلدات الضفة الغربية والقدس المحتلّة.

فرض الواقع واتباع استراتيجيا حيزية تعتمد الإحاطة ثم التغلغل، والتي تكون مستقاة من الفكر العسكري ومستعملة في التخطيط المدني، وبالتالي أصبح الوجود الاستيطاني الحالي معوقاً أساسياً أمام التنمية الفلسطينية والاستقلال.

ويكون توزيع المستوطنات الصغيرة على مناطق الأطراف المتعددة، وتركيز المستوطنات الكبيرة حول المدن المركزية (القدس وتل أبيب) لتشكّل حزاماً استيطانياً حولها[10].

وبالتالي أسسوا لمشهد متوتر وغير منسجم. فقد عزّزوا غياب الفلسطيني عن المشهد المكاني المحلي، بالمقابل أيضًا عززوا شعور المستوطن بامتلاك السيادة على المشهد، وأمكن له أن يقول: " أنا لا أفكر في الفلسطينيين الذين يعيشون في الجوار. إذا أرادوا العيش هنا، لا بأس في ذلك. لكن عليهم أن يتذكروا أننا نحن أصحاب هذه الأرض." في نفس الوقت ولدوا الشعور بالخوف لدى الفلسطينيين، لأن هذه المجتمعات المحلية تخضع بشكل كبير لسيطرة ومراقبة وإشراف الجيش الإسرائيلي. لكن على الرغم من ذلك، عثر الفلسطينيون على طرق لتجنّب التأثّر سلبًا بهذا الواقع الجغرافي، واسترداد حقّهم في المشهد المكاني المحتلّ من خلال الاستراتيجيات التي يتّبعونها في حياتهم اليومية للصمود والحفاظ على وجودهم. ومعنى هذا أن العرب قد أُزيلوا عمدا من المشهد البصري للمستوطنات الإسرائيلية وهذا ما ولد عمدا بالشعور بأنهم لا يشكّلون مجتمعًا حقيقيًا، أو سكانًا لديهم هوية متمايزة، أو شعبًا متشبّثًا بمطلبه المشروع بالأرض. انظر الصورة:01.

صورة 1: مستوطنة كيدار اليهودية في الضفة الغربية عام 2023 (حسب رويترز)

[10]: راسم، خمايسي، استراتيجيا الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة وأثره في التخطيط القطري والتنمية في فلسطين، ص 43-62، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 37 .1999

ثالثا: خلق كيانات جغرافية فلسطينية معزولة ومجزأة تعرف بالكانتونات:[11]

ارتبطت "الكانتونات" في فلسطين بشكل أساسي بالسياسات الإسرائيلية الرامية إلى تقسيم الأراضي الفلسطينية بطريقة تضمن استمرار السيطرة الإسرائيلية على أكبر قدر ممكن من الأراضي، في حين يتم عزل الفلسطينيين داخل مناطق ضيقة ومجزأة. كان هذا المصطلح قد استخدم في العديد من السياقات المتعلقة بالصراع الفلسطيني–الإسرائيلي لوصف الوضع الذي تفضي فيه السياسات الإسرائيلية إلى خلق تجمعات فلسطينية معزولة في الضفة الغربية وقطاع غزة. وعلى مدار عقود من الصراع، خاصة بعد حرب 1967، بالمستوطنات والبؤر الاستيطانية المتعددة، ومن خلال بناء الجدران الفاصلة، والحواجز العسكرية لتقييد الحركة داخل الأراضي الفلسطينية، والاتصال. سواء في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو في الضفة الغربية، وقطاع غزة.

فالضفة الغربية هي واحدة من أكبر المناطق الفلسطينية التي تعيش في ظل تقسيمات جغرافية معقدة نتيجة لوجود المستوطنات الإسرائيلية والجدار الفاصل، بالإضافة إلى تقسيمات أخرى بسبب اتفاقات أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. حيث تم تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة مناطق رئيسية:

- **المنطقة:** (**A**) تحت السيطرة الكاملة للسلطة الفلسطينية، لكنها محاطة بمناطق أخرى تحت السيطرة الإسرائيلية.
- **المنطقة:** (**B**) تحت السيطرة المشتركة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، بينما تبقى إسرائيل مسؤولة عن الأمن.
- **المنطقة:** © تحت السيطرة الكاملة لإسرائيل، وهي تشكل حوالي 60% من مساحة الضفة الغربية.

هذا التقسيم جعل المدن الفلسطينية مثل رام الله وبيت لحم ونابلس محاطة بالمناطق التي تسيطر عليها إسرائيل أو التي تشمل مستوطنات إسرائيلية، مما يعيق حرية التنقل ويعزز فكرة الانعزال الجغرافي الفلسطيني. أ

خريطة 03: مناطق مخيمات تجميع الفلسطينيين

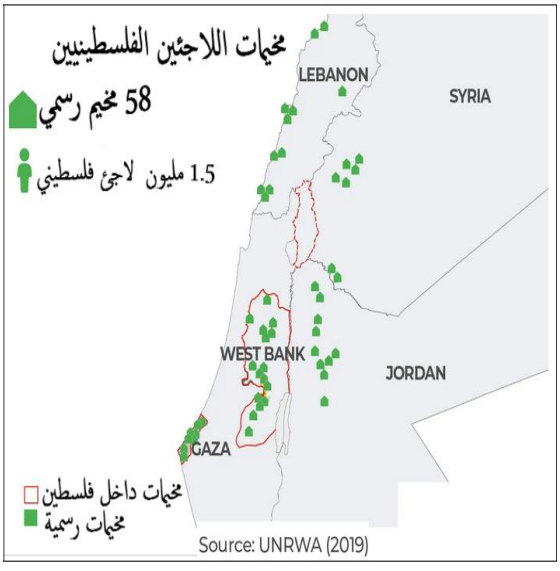

[11]: مصطلح "الكانتون" في السياق الفلسطيني يشير إلى تقسيمات جغرافية أو سياسية تهدف إلى عزل أجزاء من الأراضي الفلسطينية عن بعضها البعض، وهو مفهوم ارتبط بمشاريع مختلفة لتغيير الوضع الجغرافي في فلسطين، بما في ذلك خطط التقسيم التي قد تؤدي إلى خلق كيانات فلسطينية مجزأة ومعزولة. أنظر، مايكل يونغ، ديمومة الكانتونات، مركز الشرق الأوسط، 2023.

وفي قطاع غزة: ومنذ سيطرة حركة حماس عليه في 2007، أصبح هو الآخر كانتوناً معزولاً، حيث تفصل عن الضفة الغربية بواسطة إسرائيل ومناطقها العسكرية والمستوطنات. غزة تواجه حصاراً خانقاً من قبل إسرائيل ومصر، مما يؤدي إلى عزلة تامة عن باقي الأراضي الفلسطينية والعالم الخارجي. فالحصار على غزة ومنع التنقل بين غزة والضفة الغربية، سواء للأفراد أو البضائع، يزيد من تجزئة الواقع الفلسطيني ويخلق جغرافيا معزولة. هذه العزلة الجغرافية والسياسية تُبقي قطاع غزة في حالة شبه دائمة من الانغلاق.

فقد شرع الاحتلال الإسرائيلي نهاية العام 2016 بإقامة جدار ضخم على الحدود الشرقية لقطاع غزة. حيث يتكون الجدار الحديدي الذي يمتد فوق سطح الأرض لأكثر من 6 أمتار، من جدار خرساني مقوى تحت الأرض مجهز بأجهزة استشعار للكشف عن الأنفاق، وسياج فولاذي بارتفاع 6 أمتار، وشبكة من الرادارات وأجهزة استشعار المراقبة الأخرى.. أنظر الخريطة: 04.

وقام الاحتلال الإسرائيلي بتقطيع أوصال قطاع غزة إلى أربعة أقسام، مع السيطرة على محور فيلادلفيا. وفصل الاحتلال منطقة شمال قطاع غزة عن مدينة غزة، من خلال عملية عسكرية بدأها قبل نحو شهر، عمل فيها على تهجير السكان من المنطقة.

إلى ذلك فصل القاطع الشمالي من القطاع عن جنوبه من خلال محور نتساريم، بمساحة تبلغ 56 كيلومترًا مربعًا، بطول يصل إلى 7 كيلومترات، وعرض 8 كيلومترات.

خريطة 04: المناطق التي اقتطعها الاحتلال من قطاع غزة/ عربي بوست

كما أنشأ الاحتلال منطقة عازلة على الحدود الشرقية بين قطاع غزة ومستوطنات الغلاف، ويبلغ عمقها كيلومترًا واحدًا على الأقل بين المجتمعات الإسرائيلية القريبة من الحدود مع غزة والمنازل الأولى داخل غزة. وتشير المعطيات إلى أن الاحتلال الإسرائيلي استقطع ما يقارب 44% من مساحة قطاع غزة لصالح المناطق العازلة التي أنشأها. أنظر الخريطة: 05

ومن ناحية القدس، يبلغ طول الجدار حوالي 168 كيلومترا، منها 5 كيلومترات تتبع الخط الأخضر، وبقيتها تمتد 22 كيلومترا داخل عمق الضفة الغربية. لضمان سقوط المستوطنات على حافته الغربية. كما يبلغ عرضه في المتوسط 60-80 متراً، بارتفاع يتراوح بين 4.9 و9 أمتار في المناطق المأهولة بالسكان الفلسطينيين.

خريطة 05: مسار جدار الفصل بالضفة الغربية حسب عربي بوست

وحسب إحصائيات هيئة مقاومة الجدار والاستيطان، تنصب دولة الاحتلال 872 حاجزاً وبوابة عسكرية بالضفة الغربية، 145 منها تم وضعها بعد 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023.

وتشير المعطيات إلى أن مئات المداخل والمخارج في مناطق الضفة الثلاث، مازالت مغلقة، فيما تم تحويل طرق رئيسية في المنطقة (أ)، إلى طرق مخصصة للمستوطنين فقط.

- منع إقامة دولة فلسطينية متواصلة بتقسيم الأراضي الفلسطينية إلى مناطق معزولة يُصعب إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة جغرافية.
- تعزيز السيطرة على الموارد من خلال السيطرة على المناطق الأكثر استراتيجية في الضفة الغربية، مثل مناطق « C » التي تحتوي على معظم الأراضي الزراعية والمصادر الطبيعية مثل المياه، تهدف إسرائيل إلى تعزيز سيطرتها على هذه الموارد.
- إضعاف الوحدة الفلسطينية.
- تحقيق الأمن الإسرائيلي من خلال تقسيم الأراضي الفلسطينية، تأمل إسرائيل في تقليل خطر الهجمات الفلسطينية على مستوطناتها.

رابعا: تغيير معالم المشهد الجغرافي لفلسطين: ويقصد به التعديلات التي تقوم بها إسرائيل في البيئة الطبيعية والعمرانية الفلسطينية، مثل:

- مصادرة الأراضي وتغيير استخداماتها.
- تحويل أراضٍ زراعية فلسطينية إلى مناطق عسكرية مغلقة أو محميات طبيعية أو مناطق استيطان.

- ربط المستوطنات بشبكات مائية متقدمة مقابل تقنين المياه على تجمّعات فلسطينية عديدة.
- تجريف الأراضي والتغيرات البيئية.
- تجريف مساحات كبيرة لأغراض عسكرية أو توسعات استيطانية.
- إزالة الأشجار (خصوصًا الزيتون) وتأثير ذلك على التنوع الحيوي والغطاء النباتي.
- فرض مخططات هيكلية أحادية الجانب: خاصة منطقة ج في الضفة دون إشراك الفلسطينيين.
- تحديد مناطق البناء للفلسطينيين بمساحات ضيقة جدًا مقابل توسعة كبيرة للمستوطنات.
- سياسات الهدم ومنع الترخيص منع التوسع العمراني الفلسطيني على الرغم من النمو السكاني المرتفع.
- **بناء الجدار الفاصل:** مما أدى إلى إعادة تشكيل التكوين الجغرافي والعمراني للمدن والقرى. وذلك بفصل أحياء عن محيطها، وإعاقة توسع المدن الفلسطينية طبيعياً. وخلق جيوب عمرانية فلسطينية معزولة ومحصورة.

خامسا: إعادة التوزيع السكاني وتغيير الخريطة الديموغرافية لفلسطين:

تهدف السياسة الاستيطانية الإسرائيلية إلى تغيير التوازن السكاني في المنطقة لصالح اليهود، مما يعقد فرص التوصل إلى حلول قابلة للتطبيق على أرض الواقع. هذه التغييرات تساهم في تفجير الصراع المستمر حول الأرض والموارد الطبيعية خاصة المياه والأراضي الصالحة للزراعة.

وتهدف هذه العملية الاستيطانية إلى إعادة تشكيل الواقع الجغرافي والديمغرافي، وتتمثل خطورتها في فصل مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية، والتركيز في هذه المساحات معظم المستوطنات والبؤر الاستيطانية، كما هو الحال في الضفة الغربية والقدس، في حين أن الكثافة السكانية الفلسطينية فيها محدودة، وتتعرض للتضييق والتهميش والحصار لإنهاء وجودها.

- وتحولت مناطق "أ" و"ب" الخاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية، إلى كانتونات منفصلة، معزول بعضها عن بعض بالكتل الاستيطانية الكبرى وبالشوارع الالتفافية وبعض أجزاء الجدار الفاصل.
- وقد سار بناء الجدار وإقامة المناطق المعزولة في خط متواز مع تصعيد البناء الاستيطاني وتسمين المستوطنات، وإقامة بؤر استيطانية جديدة، والسعي لإقرار تشريعات قوانين لضم المناطق القليلة الكثافة السكانية في الضفة الغربية (مناطق ج أساسا) كما تصاعدت حملات هدم المنازل وتشريد المواطنين الفلسطينيين في المناطق المستهدفة بالضم.

ورسخت السياسات الاستيطانية في هذه المرحلة إلى تفتيت الضفة الغربية، وعزل المواطنين الفلسطينيين في مناطق محدودة المساحة ومقطعة الأوصال، وإلغاء أي إمكانية لإقامة دولة فلسطينية. لكن **معدلات المواليد الفلسطينية** تبقى الأعلى من نظيرتها الإسرائيلية بكثير، وبالتالي لا يستطيع الإسرائيليون منافسة هذه الأرقام لذلك ستضطر إسرائيل لمواجهة الزيادة المتسارعة في أعداد الفلسطينيين إذا قررت تطبيق حل الدول الواحدة. ويُمكن القول إجمالاً إن

"إسرائيل" تشبه القلعة القابعة تحت الحصار؛ حيث تتمتع بعلاقة استراتيجية مع الولايات المتحدة التي تُقوي ذراعها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية.

انظر جدول:1.

جدول 01: التوزيع السكاني في فلسطين المحتلة في نهاية 2021

الصفة	عدد السكان بالمليون نسمة	النسبة المئوية
الفلسطينيون في الضفة الغربية	2.849.974	19.75
فلسطينيو قطاع غزة	2.136.507	14.81
فلسطينيو القدس الشرقية	1.990.000	13.79
الإسرائيليون اليهود	6.982.000	48.38
آخرون	472.000	03.27
مجموع السكان	14.430.481	100

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، https://www.pcbs.gov.ps/site/lang__ar/803/default.aspx

- تهجير السكان الفلسطينيين قسرًا من مناطق معينة، خاصة في القدس والضفة الغربية.
- بناء مستوطنات خاصة في الضفة والقدس الشرقية، وتشجيع الهجرة اليهودية إليها لزيادة عدد السكان الإسرائيليين في مناطق استراتيجية.

الهدف من هذا التغيير:

- إضعاف فرص قيام دولة فلسطينية متصلة جغرافياً وقابلة للحياة.

سادسا: قامت "إسرائيل" بتقسيم النسيج الاجتماعي للفلسطينيين:

لقد استثمرت إسرائيل موارد كبيرة في تقسيم الفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية إلى "أنواع" أو فئات مختلفة، وأخضعتهم لنظام الأمن الإسرائيلي للسيطرة، وتمزيق نسيجهم الاجتماعي الذي يمكن أن يوحدهم كشعب واحد له هدف سياسي مشترك:

الفلسطينيون في الداخل المحتل:

يشكلون أكثر من مليوني فلسطيني الجنسية الإسرائيلية الذين بقوا في أراضيهم خلال نكبة عام 1948. ومنذ عام 2003، أصدرت الحكومة الإسرائيلية "أمراً مؤقتاً" يحظر لمَّ شمل الأسرة إذا كان أحد الزوجين مواطناً إسرائيلياً والآخر مقيماً في الأراضي المحتلة (باستثناء المستوطنين اليهود). وقد تم ذلك لمنع أي علاقة اجتماعية وسياسية بين المواطنين الفلسطينيين في الكيان الإسرائيلي وأولئك الذين يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة.

–المقدسيون:

المقدسيون هم فلسطينيو القدس الذين عاشوا فيها قبل أن تحتلها إسرائيل عام 1967. وبحسب القانون الإسرائيلي، فإنهم "مقيمون" في القدس ولكنهم ليسوا مواطنين. وهم يحملون بطاقة هوية مقدسية زرقاء تسمح لهم بالإقامة في القدس والسفر داخل إسرائيل والضفة الغربية. وهم يحملون جواز سفر أردنياً ووثيقة سفر إسرائيلية تسمى "جواز مرور"، والتي تسمح لهم بالسفر إلى الخارج .ويمنعون من حمل أي وثائق فلسطينية. وبما أنهم "مقيمون" في المدينة، فإنهم يفقدون هذا الحق إذا سافروا إلى الخارج لفترة أطول من فترة محددة.

–فلسطينيو الضفة الغربية:

يحمل الفلسطينيون في الضفة الغربية المحتلة بطاقة هوية خضراء صادرة عن السلطة الفلسطينية، ويُمنعون من الإقامة أو الدخول إلى أراضي عام 1948 خارج الخط الأخضر، بما فيها القدس، إلا بموجب تصاريح خاصة ومؤقتة صادرة عن الإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية. كما لا يسمح لهم بالدخول إلى قطاع غزة إلا بتصاريح محدودة للغاية وبشروط مشددة. وأدى ذلك بشكل مباشر إلى انقسامات سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة بين الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية.

–فلسطينيو غزة

أخيراً، ومن بين "المجموعات" الفلسطينية المختلفة، فإن 2.3 مليون فلسطيني في قطاع غزة يخضعون لأشد القيود. ومنذ عام 2007، واجهوا حصاراً خانقاً وحروباً متعددة من قبل الاحتلال أودت بحياة عشرات الآلاف من الشهداء. ويحمل سكان غزة بطاقة هوية فلسطينية وجواز سفر فلسطينياً صادراً عن السلطة الفلسطينية. ويُمنعون من السفر إلى ما وراء الخط الأخضر أو إلى الضفة الغربية، مع استثناءات قليلة جداً وتصاريح محدودة. وهم مرتبطون بالعالم الخارجي من خلال معبر رفح الحدودي مع مصر.

وتهدف هذه التصنيفات الجغرافية إلى منع أي تواصل اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي بين الفلسطينيين بحسب إقامتهم ووضعهم القانوني. وتصنف الإدارة المدنية الإسرائيلية السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة حسب سلوكهم السياسي والأمني ووضعهم الاقتصادي، من خلال ما يسمى "نظام التصاريح."

ثامنا: السيطرة الأمنية والعسكرية على الأرض، وخاصة في المناطق الحيوية والتحكم في الحركة والحدود: ويشمل ذلك:

- **السيطرة على المرتفعات الاستراتيجية:** السعي للسيطرة على **مرتفعات الضفة الغربية** لكونها تُشرف على السهل الساحلي الإسرائيلي المكتظ بالسكان. واعتبار **مرتفعات الجولان** خطًا دفاعيًا متقدمًا.
- بناء المستوطنات بمحاذاة التجمعات الفلسطينية لخلق ''جزر بشرية يهودية'' تفصل المدن الفلسطينية عن بعضها. وتعزيز الكثافة السكانية لإحداث تغيير ديموغرافي يمنح المدينة طابعًا يهوديًا. وتشجيع الهجرة اليهودية لتثبيت السيطرة على الأرض، تحت **شعار الأمن الديموغرافي.**

- والسبب الثاني في ذلك هو أن طريقة تصميم المستوطنات وتخطيطها لا تتيح لك رؤية المستوطنات الأخرى إلا من أعلى التلة. وهذا الواقع يعزّز شعور المستوطنين بامتلاك السلطة السيادية على المشهد المكاني، من دون أي حضور فلسطيني يتحدّى مجالهم البصري. ومعنى هذا أن العرب قد أُزيلوا عمدا من المشهد البصري الجغرافي للمستوطنات الإسرائيلية وهذا ما ولد عمدا بالشعور بأنهم لا يشكّلون مجتمعًا حقيقيًا، أو سكانًا لديهم هوية متمايزة، أو شعبًا متشبّثًا بمطلبه المشروع بالأرض. وهذا المشهد المكاني، يعزز الشخصية الجغرافية لدى اليهودي الذي يقول: "أنا لا أفكر في الفلسطينيين الذين يعيشون في الجوار، فإذا أرادوا العيش هنا، لا بأس في ذلك. ولكن عليهم أن يتذكروا أننا نحن أصحاب هذه الأرض."
- توليد شعورًا بالخوف لدى الفلسطينيين، لأن هذه المجتمعات المحلية تخضع بشكل كبير لسيطرة ومراقبة وإشراف الجيش الإسرائيلي، ولكن على الرغم من ذلك عثر الفلسطينيون على طرق لتجنّب التأثّر السلبي بهذا الواقع، واسترداد حقّهم في المشهد المكاني المحتلّ، من خلال:
  - الإصرار على استخدام الطرق الفلسطينية القديمة رغم القيود.
  - استمرار الأنشطة الاقتصادية في الأسواق العربية.
  - البقاء في الحيز المكاني وعدم الهجرة من القرى المعزولة.
- **شق الطرق الالتفافية** التي تربط المستوطنات ببعضها البعض دون المرور بالمناطق الفلسطينية.
- **إقامة الجدار العازل** :الذي يُغير الواقع الجغرافي على الأرض، ويفصل سكان الضفة عن أراضيهم. **فالجدار العازل** أعاد رسم الحدود الواقعية. فنقاط التفتيش العديدة والكثيرة تجعل التواصل الفلسطيني الداخلي مجزأً ومحدودًا. أنظر الخريطة: 06.

الخريطة 06: عسكرة المشهد الجغرافي الفلسطيني في الضفة الغربية

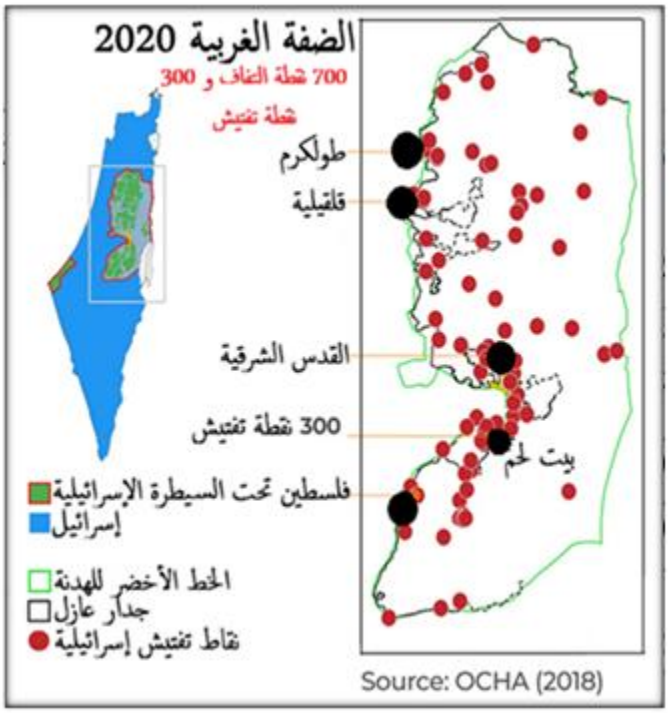

تاسعا: تهويد القدس: من خلال تغيير طابع المدينة، وإزالة المعالم الإسلامية والمسيحية أو إحاطتها بمعالم وأسماء جغرافية يهودية.

- وذلك بالاقتلاع المستمر للمجتمعات المحلية الفلسطينية من القدس والضفة الغربية. وإعادة تشكيل الهوية العمرانية للمدينة
- ومحاولات لتغيير الطابع الديمغرافي والعمراني بما يحدّ من التواجد الفلسطيني. و**الحد من توسع الأحياء الفلسطينية**
- هدم المنازل والمنشآت التجارية. بناء مستوطنات داخل المناطق السكنية العربية. أنظر الخريطة: 07.

خريطة 07: تقسيم القدس

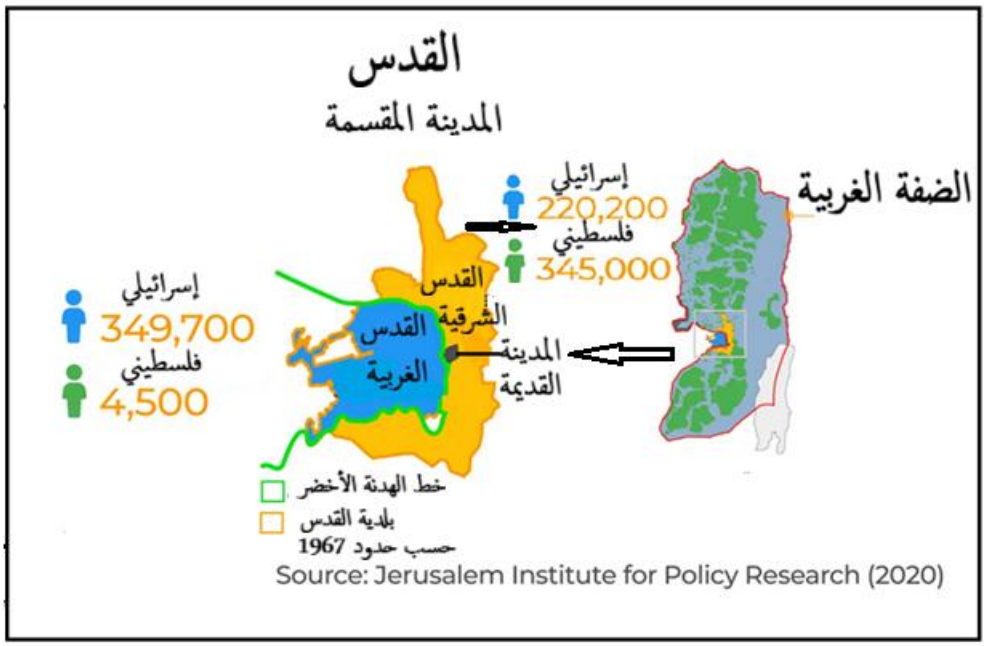

عاشرا: تبني إسرائيل "لعقيدة الجدران" تحول إسرائيل إلى دولة الجدران

تعود فكرة بناء "الجدار" في فلسطين منذ بدء احتلال فلسطين عام 1948، فهي عنصر ثابت في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، ومتجذرة في الفكرة الصهيونية منذ بدايتها فعلى سبيل المثال جمع المحتلون من تبقى من سكان مدينة يافا بعد احتلالها بمعسكر في حي العجمي، وأحاطوه بسياج من الأسلاك الشائكة، ومنعوا السكان من التحرك خارج بواباته إلا بعد الحصول على إذن خاص من الحاكم العسكري.

ومنذ عام 2002، شرع الاحتلال الإسرائيلي بتحويل الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى مناطق تحيطها "حواجز الفصل"، وإحاطة نفسه بجدران وأسوار محصنة على كل خط حدودي. حيث أقام الاحتلال ستة جدران، ورغم أنها استخدم "الأمن" كمبرر له، إلا أنه قضم الأراضي الفلسطينية، وعزل السكان الفلسطينيين عن محيطهم.

وتوظّف إسرائيل "الجدران" والمناطق العازلة لتحقيق سياساتها؛ المتمثلة تطوير القوة والمناعة العسكريتين، وقتل الأمل لدى العرب والفلسطينيين في قدرتهم على إلحاق الهزيمة بالمشروع الصهيوني في فلسطين[12].

جدار مع مصر:

في يناير/كانون الثاني 2010، قررت حكومة الاحتلال برئاسة نتنياهو إقامة جدار على طول الحدود مع مصر، وتم الشروع في إقامته في شهر نوفمبر/تشرين الثاني من العام ذاته. وتذرعت حكومة الاحتلال بأن الجدار الذي يتخلله مجسات إلكترونية وكاميرات وأبراج مراقبة، هدفه "منع تسلل المهاجرين غير الشرعيين، ومنع تسلل المسلحين من سيناء."

ويمتد السياج من رفح حتى إيلات على البحر الأحمر بطول 245 كيلومترا، وبارتفاع 6 أمتار، وتم استكمال إنشائه عام 2013.

وبعد احتلال الجيش الإسرائيلي لمحور فيلادلفيا خلال الأشهر الماضية، شرع بإنشاء منطقة عازلة على طول المحور. حيث قام جيش الاحتلال بتسوية مساحات شاسعة على جانبيه حوالي كيلومتر واحد في بعض الأماكن، و3 كيلومترات في أخرى. أنظر الصورة: 02

صور 02: أعمال التجريف والإزالة التي يقوم بها الاحتلال على محور فيلادلفيا حسب BBC

[12]: موقع "عربي بوست، دولة الجدران.. جغرافيا جديدة تفرضها إسرائيل في الضفة والقطاع ودول الجوار "خرائط " تم النشر: 13/11/2024.

جدار الأردن:

الحدود الأردنية هي الأطول مع فلسطين المحتلة، وتأتي على امتداد يصل إلى 335 كيلومتراً. وفي مارس/آذار 2011، أعلن نتنياهو أنه أصدر تعليماته للجيش بالبدء في التخطيط لبناء سياج جديد على الحدود مع الأردن. كما أعلن نتنياهو عام 2015 عن البدء ببناء سياج مجهز بأجهزة استشعار على الحدود الجنوبية مع الأردن، وتبعه تصريح عن عزمه "إحاطة دولة إسرائيل بأكملها بسياج." أنظر الخريطة: 08

خريطة 08: الحدود بين الأردن وفلسطين المحتلة حسب عربي بوست

ويتذرع الاحتلال الإسرائيلي بأن الغرض من بناء الجدار هو منع التهريب والتسلل إلى إسرائيل عبر الحدود الشرقية. ويشمل أبراج مراقبة ومعدات متقدمة، هو بطول 30 كيلومتراً ويمتد من مدينة إيلات إلى منطقة وادي يمناع جنوبا.

جدار مع سوريا:

في سبتمبر/أيلول 2015، شرعت حكومة إسرائيل بإقامة سياج يفصل بين سوريا ومرتفعات الجولان السورية المحتلة، يمتد على طول 70 كلم، وارتفاعه يبلغ 5 أمتار. يمتد من منطقة الحمة في جنوب الهضبة حتى معبر القنيطرة بشمالي الجولان المحتل، متبوع بخندق على طول الحدود. أنظر الخريطة: 09.

خريطة 09: الحدود بين سوريا ومرتفعات الجولان/ عربي بوست

جدار مع لبنان:

بدأت إسرائيل ببناء جدار حدودي إسمنتي في مارس/آذار 2012 بطول كيلومتر واحد تقريباً، وارتفاع يصل إلى ثمانية أمتار، يفصل بين بلدة كفر كلا اللبنانية ومستوطنة المطلة الإسرائيلية. وفي مايو/أيار 2017، شرعت حكومة الاحتلال بإقامة سياج بارتفاع 6 أمتار في المنطقة الممتدة من رأس الناقورة وحتى إصبع الجليل على الحدود مع لبنان. ثم منطقة عازلة تمتد لمسافة 5 كيلومترات جنوب لبنان، وذلك بعد تصاعد التوتر على الحدود مع حزب الله بين الخط الأزرق نهر الليطاني.

خريطة 10: الحدود مع لينان حسب عربي بوست

خلاصة: إسرائيل تضع ثقتها بأسلحتها والجغرافيا:

تضع "إسرائيل" ثقتها في الأسلحة والجغرافيا بدلاً من المعاهدات والعهود، من أجل ضمان بقائها. "إسرائيل "مستعدة لانتهاك القانون الدولي واتباع سياسة استباقية طالما أنها تحقق لها الأهداف الاستراتيجية التي تراها ضرورية، أي إن احتلال الضفة الغربية وما نتج عنه من قهر للفلسطينيين هو نتيجة لتلك الازدواجية الجيوسياسية المؤسفة.

أطروحة المقاومة الفلسطينية قائمة على الرد على مقولة الجغرافيا المتخيلة الصهيونية: **إسرائيل** من **النيل** إلى **الفرات**" التي تمر عبر مزاعم تحملها تأويلات دينية يتوهم أصحابها أن ما نسبه البشر للرب قابلٌ للاستعادة إلى الوجود.

وهي استعادة "فلسطين التاريخية"، تحت شعار "التحرير من النهر إلى البحر"، وهو مكان موجود بالفعل في الواقع، رغم تغييره وطمسه وتهويد طبونيمته، لكنه حين يحضر في السجال الفلسطيني كذلك يحضر كمسألة متخيلة، أي تخيل المستقبل بكل إمكاناته وشروطه التي تحقق ما يصبو إليه هؤلاء. وبالتالي فالمسألة لا تعدو سوى صراع بين الهويات الجغرافية المتناقضة ؟

وحتى الحديث عن "حل الدولتين" لا يخلو من جغرافيا متخيلة، قد تنزلق أحيانًا من هذا "المتخيل" إلى "الموهوم"، فأين هي الجغرافيا التي بوسعها استيعاب الحديث عن "دولة فلسطينية" إلى جانب دولة إسرائيلية ؟ في ظل جغرافية الحاضر. هل ستكون إقليمين منفصلين؛ أي الضفة الغربية وقطاع غزة، أم يتصلان ببعضهما البعض عبر نفق طويل؟ أم عبر شريط حدودي يتوجه من الضفة غربًا في صحراء النقب إلى الحدود المصرية، ثم ينعطف شمالًا بمحاذاتها حتى يصل القطاع، قاطعًا ما يربو على مائتين وخمسين كيلومترًا ؟

فإسرائيل لا تستطيع التخلي عن الضفة الغربية لأسباب استراتيجية؛ وسعت تل أبيب إلى ترسيخ سيطرتها على الأراضي بغض النظر عن مدى قانونية الأمر، وذلك من خلال تغيير التركيبة السكانية وتوطين المدنيين الإسرائيليين في أماكن بعينها.

الاستراتيجية الجغرافية الإسرائيلية في فلسطين تعكس رؤية استيطانية تهدف إلى الإمساك بالأراضي وتأمين الأمن واستخدام الموارد الطبيعية بشكل فعال. وهنا يثار السؤال: هل كل الذين يتصدون للحديث عن "حل الدولتين" يدركون البعد الجغرافي المتخيل لهذا الخيار أو السيناريو؟ أم أنهم منشغلون فقط بملء الفراغ، الناجم عن العجز عن طرح الحلول الناجزة، بكلام عابر لا يدرون تعيينه على الأرض؟

إن الجغرافيا الحاضرة في الذرائع الإسرائيلية والحجج الفلسطينية طوال الأيام الطويلة التي جرت، والحاضرة في الحرب الدائرة عبر الطوبوغرافيا والإحداثيات التي تنطلق على أساسها الصواريخ والقذائف المدفعية، ستكون حاضرة فيما بعد حال أي تسوية تعقب توقّف القتال، وهي طوال الوقت موجودة، إما واقعية متعينة أو متخيلة لا تبرح الرؤوس والنفوس.

المراجع:

1: أبكار، السقاف، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

2: عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، مجلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 60، 1982.

3: عبد الوهاب، المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م 6، دار الشروق، ط 1، 1999.

4: مايكل، يونغ، مدوّنة "ديوان" الصادرة عن مركز مالكوم كير–كارنيغي للشرق الأوسط، 15 نوفمبر 2023

5: محمد، حسن عبد السلام، اليوتوبيا دراسة في الجغرافيا التخيلية، شعبة الدراسات النفسية والاجتماعية، يوليو 2023.

6: مراد شمس الدين صلاح بريك، رسالة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2022.

7: راسم، خمايسي، استراتيجيا الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة وأثره في التخطيط القطري والتنمية في فلسطين، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 37، 1999.

8: كولن، فلنت، جغرافية الحرب والسلام، ترجمة عاطف معتمد وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر، الجزء الأول، 2017.

9: ريجارد، واطسن، الكتاب المقدس، طبعة، لندن 1831، على النسخة المطبوعة في روسيا سنة 1671.

مراكز البحث والدراسات:

1:مركز تْسِيلِم، المركز الإسرائيلي للمعلومات عن حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، الجدار الفاصل في الضفة الغربية، 2017.

2: معهد الأبحاث التطبيقية –القدس– أريج، في الذكرى ال 76 للنكبة، أخبار، تقارير خاصة، 14 مايو، 2024.

https://www.arij.org/ar/latest-ar/nakbeh-2024-ar/

المواقع الالكترونية:

1: بحسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، https://www.pcbs.gov.ps/site/lang__ar/803/default.aspx

2: موقع عربي بوست: ابتلاع الضفة.. تفاصيل خطة الأمر الواقع التي تفرضها إسرائيل على الفلسطينيين لتهجيرهم والاستحواذ على أراضيهم، النشر: 07/11/2024 ، https://arabicpost.net/

3: موقع أسباب، لماذا تُعتبر جغرافية إسرائيل "مستحيلة ؟ مطالعات جيوسياسية – ديسمبر 2023.

4: موقع إشبيلية نيوز، محمد، العبادي، أهمية الموقع الجيوسياسي في النزاعات الإقليمية والدولية.